الحَدِيثُ الأَرْبَعُونَ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». [رَوَاهُ البُخَارِيُّ][1].

هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِمَنْكِبَيَّ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَيْ: أَمْسَكَ ﷺ مَنْكِبَيهِ لِأَجْلِ أَنْ يَنْتَبِهَ لما يَقُولُه لَهُ، وَفِي هَذَا تَوَاضُعُهُ ﷺ وَحِرْصُهُ عَلَى النَّصِيحَةِ، فَقَالَ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» هَذِهِ وَصِيَّةٌ جَامِعَةٌ، وَكَلَامٌ جَامِعٌ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ، «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» يَعْنِي: لَا تَنْبَسِطْ فِي الدُّنْيَا وَتَشْتَغِلْ بِهَا عَنْ آخِرَتِكَ.

وَالغَرِيبُ: هُوَ الذِي يَكُونُ فِي بَلَدٍ غَيْرِ بَلَدِهِ، فَإِنَّ الغَرِيبَ إِذَا كَانَ فِي بَلَدٍ لَيْسَتْ بَلَدَهُ لَا يَنْبَسِطُ فِيهَا، وَلَا يَطْمَعُ فِي السُّكْنَى وَالاسْتِمْرَارِ فِيهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ لِلرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ. وَالدُّنْيَا لَيْسَتْ دَارًا لِلمُسْلِمِ، إِنَّمَا دَارُ المُسْلِمِ هِيَ الجَنَّةُ، وَهُوَ وُجِدَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْمَلَ لِلْجَنَّةِ، فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى عَمَلِ الجَنَّةِ، أَمَّا أَنْ يَطْلُبَ الدُّنْيَا لِذَاتِهَا، فَهُوَ يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ لَيْسَ لَهُ وَلَا يَدُومُ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُ، «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» وَمَعْلُومٌ حَالُ الغَرِيبِ الذِي فِي غَيْرِ بَلَدِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

أَنَّهُ دَائِمًا يَتَذَكَّرُ وَطَنَهُ وَدَارَهُ، وَيَحِنُّ إِلَى ذَلِكَ، وَيُسْرِعُ فِي الرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِهِ مَهْمَا أَمْكَنَهُ.

قَوْلُهُ: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» يَعْنِي مِثْلَ الغَرِيبِ، بِمَعْنَى أَنَّكَ لَا تَنْبَسِطُ فِيهَا وَتَشْتَغِلُ بِهَا، وَتُعْطِيهَا كُلَّ فِكْرِكَ وَقَلْبِكَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَارًا لَكَ، بَلْ كُنْ فِيهَا مُؤَقَّتًا تَنْتَظِرُ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِكَ، وَالمُسْلِمُ كَذَلِكَ هُوَ فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَارًا لَهُ، الدَّارُ التِي خَلَقَهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِ هِيَ الجَنَّةُ، وَكَانَ آدَمُ وَزَوْجُهُ فِي الجَنَّةِ، أَسْكَنَهُمَا اللهُ فِي الجَنَّةِ، ثُمَّ حَصَلَ مِنْهُمَا المُخَالَفَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَتَابَا وَنَدِمَا، وَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمَا وَلَكِنْ أَخْرَجَهُمَا مِنَ الجَنَّةِ، وَأَنْزَلَهُمَا إِلَى الأَرْضِ، إِلَى دَارٍ لَيْسَتْ دَارًا لَهُمَا، فَكَذَلِكَ ابْنُ آدَمَ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ الأَوَّلِ الذِي أُخْرِجَ مِنْهُ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَهُوَ المُسَافِرُ، وَالمُسَافِرُ إِنَّمَا يَسْتَرِيحُ فِي أَثْنَاءِ سَفَرِهِ، ثُمَّ يُواصِلُ السَّفَرَ وَلَا يَسْتَوْطِنُ، فَيَكُونُ المُسْلِمُ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ المُسَافِرِ، وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ مُسَافِرٌ لَيْسَ مُقِيمًا؛ لِأَنَّ مُدَّتَهُ فِي الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى الآخِرَةِ؛ تَسِيرُ بِهِ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي إِلَى الآخِرَةِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَالَةُ المُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ، وَأَنْ يَكُونَ هَمُّهُ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ، وَبَلَدُ المُسْلِمِ هِيَ الجَنَّةُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهَا، وَتَكُونُ هِيَ هَمَّهُ، وَمَا يُوَصِّلُهُ إِلَيْهَا.

لَمَّا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ الوَصِيَّةَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ لِلنَّاسِ وَلِكُلِّ أَحَدٍ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ**» إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُؤَخِّرْ العَمَلَ إِلَى اللَّيْلِ، تَقُولُ: أَعْمَلُ هَذَا العَمَلَ بِاللَّيْلِ. بَلْ بَادِرْ بِهِ واعْمَلْهُ، فَلَعَلَّكَ لَا تُدْرِكُ اللَّيْلَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُؤَخِّرْ

العَمَلَ وَالتَّوْبَةَ إِلَى الصُّبْحِ، لَعَلَّكَ لَا تُدْرِكُ الصُّبْحَ، فَلَيْسَ لَكَ إِلا السَّاعَةُ التِي أَنْتَ فِيهَا، فَبَادِرْ وَلَا تُؤَجِّلِ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالتَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفَارَ إِلَى وَقْتٍ آخَرٍ.

ثُمَّ قَالَ: «**وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمِرَضِكَ**» هَذِهِ مِنْ وَصِيَّةِ ابْنِ عُمَرَ، مَادَامَ الإِنْسَانُ فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ فَهُوَ قَوِيٌّ؛ يَقْدِرُ عَلَى الصِّيَامِ، وَيَقْدِرُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، وَيَقْدِرُ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، وَيَقْدِرُ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّـهِ، وَيَقْدِرُ عَلَى بَذْلِ الخَيْرِ، أَمَّا إِذَا سَقِمَ وَمَرِضَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصُومَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ يَسْتَطِيعُهُ وَهُوَ فِي صِحَّتِهِ بِسَبَبِ المَرَضِ، وَالصِّحَةُ لَا تَدُومُ، فَمَا دَامَ اللهُ أَعْطَاكَ الصِّحَّةَ فَبَادِرْ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكَ وَقْتٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ فِيهِ، إِمَّا لمِرَضٍ أَوْ لِكِبَرٍ وَهَرَمٍ.

قَوْلُهُ: «**وَمِنْ حَيَاتِكَ لمِوْتِكَ**» خُذْ مِنْ حَيَاتِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِـمَوْتِكَ، اسْتَعِدَّ للمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الموْتِ، فَاللهُ أَعْطَاكَ هَذِهِ الحَيَاةَ وَهَذَا الأَجَلَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَغِلَّهُ فِيمَا يَنْفَعُكَ فِي الآخِرَةِ، فَلَا تَصْرِفْهُ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَجَمْعِ الحُطَامِ، وَإِنَّمَا تَصْرِفُهُ فِيمَا تَجِدُهُ عِنْدَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهَذِهِ وَصِيَّةٌ اسْتَنْتَجَهَا ابْنُ عُمَرَ مِنْ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الوَصِيَّةُ دَائِمًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَيَكُونُ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَلَا يُؤَجِّلُ العَمَلَ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ قَدْ لَا يُدْرِكُهُ، وَلَا يَصْرِفُ صِحَّتَهُ وَقُوَّتَهُ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَلَا يَصْرِفُ حَيَاتَهُ كَذَلِكَ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ؛ لِأَنَّهُ سَيَخْسَرُ عَمَّا قَرِيبٍ، إِلَّا إِذَا اسْتَغَلَّ هَذِهِ الإِمْكَانَاتِ فِيمَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.